الباب الواحد الأربعون

باب قول اللّه -تعالى-: ﴿يَعرِفونَ نِعمَتَ اللّه ثُمَّ يُنكِرونَها﴾

قناة التأصيل العلمي

http://t.me/altaseelalelmi

(اضغطي على الرابط للوصول إلى القناة)





١

الباب الواحد الأربعون: باب قول الله -تعالى-:
(يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا)

عللي: ذكر الشيخ هذا الباب بعد باب "من جحد شيئًا من الأسماء والصفات"

ذكره بعده لأنه من جنسه

فيه تَنقّصٌ للرُّبُوبية

فالذي يجحد الأسماء والصفات قد تنقص الربوبية

وكذلك الذي يُضيف النعم إلى غير الله -تعالى- قد تنقص الربوبية

في أي سورة وردت آية الباب؟

وردت في سورة النحل

بماذا تسمى سورة النحل؟

تسمى سورة النِّعَم لأن الله -تعالى- عدد فيها كثيرًا من نعمه على عباده

اذكرى النعم التى وردت فى سورة النحل؟

أول هذه النعم نعمة إرسال الرسل وإنزال الوحي لهداية عباده

ثم النعمة بخلق الإنسان وما جعل فيه من الأعضاء الكبيرة والصغيرة

ثم نعمة خلق بهيمة الأنعام التي فيها الجَمال والركوب واللحوم

نعمة المراكب البحرية والتي تقطع بهم عُباب الماء

نعمة ما أنبت في الأرض من صنوف النباتات التي فيها أرزاق العباد

نعمة العلامات التي يهتدي بها المسافرون في البر والبحر

نعمة المشارب من الماء واللبن والعسل/ نعمة الملابس التي تستر العورات ويتجمل بها الناس وملابس الدروع

نعمة المساكن التي تؤويهم من البرد والحر سواء الثابتة أوالمتنقلة

كل هذه النعم من الله تعالى



أقوال المفسرين في قوله -تعالى-: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا)

- المراد بالنعمة بعثة محمد -ﷺ- ولا شك أن هذه النعمة هي أكبر النعم. ولذلك صدر السورة بذكر بعثة الرسول ﷺ
- المراد بالنعمة كل ما ذكره الله في هذه السورة من أصناف النعم، فهم يعرفون نعم الله المذكورة في السورة
  - لا يجحدونها في قرارة أنفسهم فيعرفون بقلوبهم أنها من الله ولكنهم بألسنتهم ينسبونها إلى غير الله
  - أو يتلفظون أن هذه النعم من الله ولكنهم في قلوبهم يعتقدون أنها من غير الله

ولهذا يقول العلماء: أركان الشكر ثلاثة لا يصح الشكر إلا بها:

- التحدث بها ظاهرًا
- الاعتراف بها
  - يكون القلب موافق للسان من الاعتراف بأنها من الله
- صرفها في طاعة موليها ومسديها
  - أن تستعين بها على طاعة الله فإن استعنت بها على معصية الله **فإنك لا تكون شاكرًا لها**

(ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا)

ما المراد بإنكارها؟

جُحُودها إما باللسان وإما بالقلب

- بأن تُنسب إلى غير من أنعم بها
- فإما أن تنسب إلى الأسباب
- وإما أن تنسب إلى الأصنام والآلهة
- وإما أن تنسب إلى الآباء والأجداد
- وإما أن تُنسب إلى كَدّ العبد وكسبه وحَذْقِهِ
- وإما بصرفها في معصية الله تعالى

تنبيه

فما ذكره الشيخ -رحمه الله تعالى- في هذا الباب إنما هو أمثلة لكُفران النعمة



قال مجاهد -ما معناه-: (هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي)

المعنى ← لا ينسب حصول المال إلى الله تعالى وإنما ينسه إلى آبائه وأجداده

كذلك إذا نسبه إلى كده وكسبه وحِذْقِه فإن هذا جحود لنعمة الله

لأن المال فضلٌ من الله تعالى

أما الحِذْق والكسب ومعرفة الصنعة فهذه أسباب قد تُنْتِجْ مسبَّباتها وقد لا تُنْتِج

فكم من حاذق وكم من عالم وكم من صانع يُحرم من الرزق ولا تُغنيه صنعته شيئاً, فهذا فضل من الله تعالى

وقال عون بن عبد الله: (يقولون: لولا فَلان لم يكن كذا)

ما حكم قول "لولا فلان لم يكن كذا؟" ← لا يجوز، لأن فيه نسبة النعمة إلى غير الله

والذي يجوز ما أرشد إليه النبي -ﷺ- أن تقول: "لولا الله ثم فلان"

- لأنك نسبت النعمة إلى الله
- وذكرت أن فلانًا إنما هو سبب فقط
- لأن "ثم" للترتيب والتعقيب

وقال قتيبة: (يقولون هذا بشفاعة آلهتنا)

ماذا يقول المشركون؟ ← هذا الذي حصل من الخير ومن النفع إنما هو بشفاعة آلهتنا

ما هو اعتقاد المشركين؟ ← يعتقدون أن هذه المعبودات تشفع لهم عند الله فيتقربون لها بالذبح والنذر ويطوفون بها

حال المشركين مثل حال مَنّ؟ ← مثل حال عُباد القبور اليوم يذبحون للقبور وينذرون ويستغيثون بها ويقولون: نحن لا نعتقد انها ترزق وتخلق إنما هي شفعاء

هل اعتقاد المشركين وعباد القبور صحيح؟

كلامهم كذِب، لأن الله بين الشفاعة الصحيحة ولها شرطان: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضا الله عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد. والله تعالى لا يرضى بهذه الشفاعة ولم يتخذ هؤلاء شفعاء عنده وهذه طريقة المشركين قديمًا وحديثًا ينسبون نعمة الله إلى معبوداتهم من دون الله تعالى



وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله -سبحانه وتعالى- قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...." الحديث -وقد تقدم-: وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم الله -سبحانه- من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

كل من أضاف نِعم الله إلى غيره فقد كفر نعمة الله وأشرك به

ما حكم الشرك وكفر النعمة؟

الحكم بحسب اعتقاد الشخص و قرارة نفسه فليحاسب الإنسان نفسه عند ذلك:

إذا كان الإنسان يعتقد أنّ إضافة النعمة إلى الشيء من إضافة المسبب إلى سببه وإنما المنعم هو الله وأضافها إلى السبب مجرد مجاز

فهذا كفر أصغر غير مخرج من الملة

أما إذا اعتقد أن النعم من إحداث المخلوق ومن صُنع المخلوق

فإن هذا كفر أكبر مخرج من الملة

مثال ذلك

ما يجري على ألسنة بعض الصحفيين وكثير من الإعلاميين الذين ينسبون الأشياء إلى أسبابها فيقولون: "المطر ناتج عن انخفاض جوي"

فالذي يضيف المطر إلى وقته أو إلى الكوكب أو إلى النوء فهو من هذا الباب

فالمناخ وغيره سبب لكن الذي ينزل المطر ويُكوّن المطر هو الله تعالى

ليس لهذه الأسباب تدخُل في إيجاد المطر أو إحداثه

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما يجري على ألسنة كثير

من هم السلف؟

القرون المفضلة وصدر هذه الأمة وهم محل القدوة لقُرب عهدهم من النبي عليه الصلاة والسلام ومن صحابته الكرام

ماذا يسمى من جاء بعد السلف؟

يقال لهم : الخلف فمن كان من الخلف يسير على منهج السلف فهو لاحق بهم، ومن تخلف عن منهج السلف فإنه هالك



"هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا"

يعني من إنكارهم لنعمة الله أنهم إذا نجوا من البحر وخرجوا إلى البر يُثنون على الريح وعلى الملاح

فقولهم هذا كفرٌ بنعمة الله تعالى

وكان الواجب عليهم أن يقولوا:

أن الله هو الذي نجانا وهو الذي سخر لنا الريح الطيبة وهو الذي أقدر قائد السفينة وألهمه أن يقودها إلى بر السلامة

"ونحو ذلك مما يجري على ألسنة كثير"

إما من باب التساهل في التعبير ← فهذا كفر أصغر يسمى كفر النعمة

وإما من باب سوء الاعتقاد ← فهذا كفر يُخرج من الملة

فهذا الباب باب جليل

لأنه يعالج مشكلة يقع فيها كثير من الناس ولا يحسِبون لها حسابًا ويتكلمون بكلام يحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم

حتى أن ابن عباس -رضي الله عنه- فسر قوله -تعالى-: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) قال: هو قول الرجل "لولا الله وفلان" "ما شاء الله وشئت" وما أشبه ذلك من الألفاظ وعدّ هذا من اتخاذ أندادًا لله تعالى

فهذه المسائل في عُرف الناس سهلة ولكنها خطيرة جدًّا

لأنها كفر بنعمة الله تعالى

وإساءة أدب مع جَناب الربوبية

٦



مسائل من تفسير السلف لهذه الآية ذكرها الإمام -رحمه الله تعالى-:

١ أن إضافة النِعم إلى الله -تعالى- من الإيمان بالله

٢ أن إضافة النِعم إلى غير الله -تعالى- من الكفر بالله

٣ "فيه اجتماع الضدين في القلب، الكفر والإيمان"

أخذًا من قوله -تعالى- "يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها"

اجتماع الإقرار والإنكار والكفر والإيمان
وأيهما غلب على صاحبه صار من أصحابه

٤ أن كفر النعمة يكثَر وقوعه في الناس فهذا مما يُوجب الحذر منه
وأن الإنسان لا يجري على العوائد المخالفة للشرع

المرجع: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى.